زيارة بابا الفاتيكان الى العراق ٢٠٢١م رسالة للتعايش والتسامح – رؤية شرعية

أ.م. عبدالحليم عبدالحافظ خالد

جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي

alhlemabd١@gmail.com

الملخص :

تعاني الانسانية في الوقت المعاصر من داء التطرف والتفرقة والتعصب الديني والفكري والقومي وما تبع ذلك من ويلات الحروب والدمار لا سيما في العراق والشرق الأوسط بصفة عامة .

جاءت زيارة بابا الفاتيكان فرنسيس الى العراق لدعم مبدأ الحوار وقبول الآخر والتسامح والتعايش السلمي والتعاون المشترك واحترام الاعتقاد الديني للآخرين وحقوقهم وحرياتهم .

جاء هذا البحث لبيان حقيقة وأهداف زيارة البابا فرنسيس الى العراق ، والرؤية الشرعية لها ، وتقديم المقترحات التي ترسخ مفهوم التسامح والتعايش السلمي بين أفراد أطياف المجتمع العراقي وان تعددت دياناتهم أو قومياتهم أو أحزابهم السياسية .

الكلمات الافتتاحية : (زيارة البابا، الاخوة الانسانية، نبذ العنف، التعايش السلمي، التسامح)

Pope Vatican's visit to Iraq ٢٠٢١ AD A message of coexistence and tolerance A legitimate vision

Asst. Prof. Abdel Halim Abdel Hafez Khaled

University of Basra

Center for Basra and Arabian Gulf Studies

Abstracts :

Humanity suffers in the contemporary time from the disease of extremism division religious intellectual and national intolerance and the subsequent scourge of wars and destruction especially in Iraq and the Middle East in general .

The visit of Pope Francis to Iraq came to support the principle or dialogue acceptance of other tolerance peaceful coexistence joint cooperation and respect for the religious belief right and freedoms of other .

This research came to clarify the reality and objectives of Pope Francis visit to Iraq and the legal vision for it , and to present proposals that establish the concept of tolerance and peaceful coexistence among members of the spectrum of Iraqi society even if their religions nationalities or political parties are multiplied .

Introductory word : (The Pope visit , Human brotherhood , Renunciation of violence , Peaceful coexistence , Tolerance).

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار .

اما بعد ...

فقدت البشرية الأمن والسلام والتعايش في عالمنا المعاصر، وحل التناحر والتقاتل والدمار والخراب ، بسبب التطرف الديني والتعصب القومي والتوجهات الأيديولوجية البغيضة والاقتصاد الربحي الأعمى والأنظمة السياسية الطاغية ، فأزهقت الأنفس ورملت النساء وتيتمت الأطفال وهجرت الأسر من أوطانهم والنازحين من ديارهم ، فكان الظلم والاضطهاد والبؤس والحرمان والتمييز والفقر والاقصاء والتشرد وفساد الأخلاق والالحاد في الدين والتدمير الذاتي بالمخدرات والسلوك الجنسي المنحرف ، فهذا المشهد الممتد من الشرق الى الغرب هو الباعث الحقيقي لزيارة بابا الفاتيكان فرنسيس الى مصر ولقائه بشيخ الأزهر أحمد الطيب في مؤتمر الأزهر الدولي للسلام ٢٧- ٢٨ أبريل ٢٠١٧م ، وكذلك زيارته إلى الامارات ولقائه بشيخ الأزهر وعدد من رجال الدين في المؤتمر العالمي للاخوة الانسانية في ٣- ٥ فبراير ٢٠١٩م ، وأيضاً زيارته الى العراق ولقائه بالمرجع الديني السيد علي السيستاني في النجف بتاريخ ٦ آذار ٢٠٢١ م وعدد من السياسيين ورجال الدين والوجهاء في كل محطة أقام فيها خلال تنقله الى محافظات العراق ، لهذا جاء البحث الموسوم :

(زيارة بابا الفاتيكان للعراق ٢٠٢١م رسالة للتعايش والتسامح – رؤية شرعية) .

لبيان حقيقة وأبعاد الزيارة والرؤية الشرعية لها .

مشكلة البحث :

هنالك أصوات وأقلام ظهرت في الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي شككت بنوايا زيارة البابا فرنسيس للعراق ، وأوضحت أنها زيارة تهدف إلى توسيع نفوذ المسيحيين في العراق والمنطقة العربية ، ورسم سياسة مستقبلية للتعايش السلمي مع الكيان الصهيوني ضمن شعار الاخوة الانسانية ، والترويج للديانة الإبراهيمية كدين عالمي جديد بوابته التعايش السلمي بين معتنقي الديانة الإسلامية والمسيحية واليهودية .

وهنالك اتهامات حول الدين بصفة عامة بأنه السبب في الصراعات والعنف في العالم ، لوجود نصوص في الكتب التي يؤمن بها اتباع الديانات ، لاسيما في العراق وما يعانيه من صراعات مذهبية وفتن طائية طاحنة بين أتباع الدين الإسلامي فيما بينهم ، وكذلك مع الآخرين كالمسيحيين والأيزيديين ، لهذا لا بد من رفع الاشكال في فهم ما تقدم طرحة .

هدف البحث :

١- بيان حقيقة وأبعاد زيارة البابا فرنسيس إلى العراق .

٢- بيان الرؤية الشرعية لزيارة بابا الفاتيكان الى العراق .

٣- بيان مبادئ الدين الإسلامي التي تدعوا الى التسامح والتعايش مع الآخر .

٤- تقديم مقترحات يمكن ان يكون لها الأثر الطيب في ترسيخ مفهوم التسامح والتعايش السلمي .

٥- ابراز موضوع البحث في قالب واسلوب عصري يتلائم مع أهمية الموضوع وحاجة المجتمع له .

فرضية البحث :

تقوم فرضية البحث على أساس بيان حقيقة وأهداف زيارة البابا فرنسيس الى العراق والرؤية الشرعية لها ، ومدى الاستفادة من هذه الزيارة وتحويلها من الجانب المعنوي الرمزي الى الجانب العملي الواقعي لتحقيق ثقافة التعايش السلمي والتسامح وحماية ورعاية حقوق وحريات المكونات والاقليات في العراق .

المطلب الأول

زيارة البابا الى العراق

في هذا المطلب نبين المحطات المهمة التي توقف عندها البابا فرنسيس خلال زيارته لمحافظات العراق وأهم ما قاله خلال هذه الاجتماعات أواللقاءات وفق أيام زيارته وكما يأتي :

اليوم الأول :

وصل البابا فرنسيس الى العراق في زيارة تأريخية وهي الأولى له خارج الفاتيكان منذ جائحة كورونا وذلك في يوم الجمعة الموافق ٥ آذار ٢٠٢١م ، واستقبله في مطار بغداد رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي وعدد من رجال الدولة ، ثم نقل الى قصر السلام للقاء رئيس الجمهورية برهم صالح ، وبعد الاستقبال الرسمي للبابا عقد اجتماع له مع الرئاسات الثلاثة وعدد

من الساسة ورجال الدين ، ودعا البابا في كلمته الى تعزيز السلام في العراق وكل الشرق الأوسط ، وقال : " ان التحديات المتزايدة تدعو الاسرة البشرية الى التعاون لمواجهة التوترات الاقليمية التي تهدد استقرار هذه البلدان ... " (١) ، وقال ايضاً : " فلتصمت الأسلحة ، وليكن الدين في خدمة السلام والاخوة " (٢) .

ووصف البابا الهجمات التي تعرضت لها الأقلية الأيزيدية على يد أفراد تنظيم داعش بالهجمة المتهورة المجردة من الانسانية ، وقال : " ان نخرج من زمن المحنة – يقصد جائحة كورونا – أفضل مما كنا عليه من قبل ، وان نبني المستقبل على ما يوحدنا وليس على ما يفرقنا ... كفى عنفاً وتطرفاً وتحزبات وعدم تسامح ، لنعط المجال لكل المواطنيين الذين يريدون ان يبنوا معاً هذا البلد ... " (٣) .

وهي إشارة الى المسيحيين الذين يشكلون واحد في المئة من سكان العراق ، وشدد على ضرورة ضمان مشاركة جميع المكونات السياسية والاجتماعية والدينية ، وان نؤمن الحقوق الأساسية لجميع المواطنين وان لا نعتبر أحد المواطنين من الدرجة الثانية (٤) .

وفي هذا اليوم انتقل البابا الى كنيسة (سيدة النجاة) للسريان الكاثوليك في بغداد والتي شهدت مقتل (٥٢) مسيحياً وشرطياً في هجوم شنه مسلحون من تنظيم القاعدة عام ٢٠١٠م والتقى خلال هذه الزيارة بعدد من الأساقفة ورجال الدين .

وقال البابا في هذا اللقاء : " ان الصعاب جعلت الكثير من العراقيين يهاجرون بلدهم ، والشباب هم ثروة البلد في المستقبل وهم جوهر العراق يجب الاعتناء بهم وتلبية مطالبهم ... وأضاف قائلاً : اني أشكركم أيها الاخوة الأساقفة والكهنة على بقائكم قريبين من شعبكم وعلى دعمكم له ، وسعيكم لتلبية احتياجات الشعب ومساعدة كل واحد على القيام بدوره في خدمة الخير العام ... وان الرسالة التربوية ورسالة المحبة في كنائسكم الخاصة تمثل مورداً ثميناً لحياة الجماعة الكنسية والمجتمع باسره " (٥) .

اليوم الثاني :

توجه صباح يوم السبت الموافق ٦ آذار ٢٠٢١ م البابا فرنسيس الى النجف والتقى بالمرجع الديني سماحة السيد علي السيستاني في بيته ، سمي هذا القاء بلقاء المحبة والسلام ، ودار الحديث خلال

اللقاء حول التحديات الكبيرة التي تواجهها الانسانية في هذا العصر ودور الإيمان بالله تعالى وبرسالاته والالتزام بالقيم والاخلاق السامية في التغلب عليها ، وتحدث سماحة السيد علي السيستاني عما يعانيه الكثيرون في مختلف البلدان من الظلم والقهر والفقر والاضطهاد الديني والفكري وكبت الحريات الأساسية وغياب العدالة الاجتماعية ، وأشار سماحته الى الدور الذي ينبغي ان تقوم به الزعامات الدينية والروحية في الحد من هذه المآسي ولتثبيت قيم التآلف والتعايش السلمي والتضامن الانساني في كل المجتمعات ، مبيناً على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين اتباع الاديان والاتجاهات الفكرية ... وتمنى سماحته للبابا واتباع الكنيسة الكاثوليكية ولعامة البشرية الخيروالسعادة ، وشكره على تجشمه عناء السفر الى النجف الأشرف للقيام بهذه الزيارة (٦) .

وقال البابا فرنسيس بعد هذا اللقاء : " ان زيارتي للمرجع الديني كانت مفيدة ... ان هذا اللقاء قد يكون خطوة اولى نحو توقيع وثيقة الاخوة الانسانية كالتي وقعتها مع شيخ الأزهر أحمد الطيب في المؤتمر العالمي للاخوة الانسانية في أبو ظبي ٢٠١٩م " (٧).

وودعا قطبا السلام والتسامح البابا فرنسيس والمرجع السيستاني بعضهما بتماسك الايادي في يوم تأريخي يمر على العراق ، وبهذه المناسبة اطلق على هذا اليوم الموافق السادس من مارس من كل عام يوماً وطنياً للتسامح والتعايش في العراق (٨) .

وبعد هذا اللقاء توجه البابا فرنسيس الى مطار النجف الدولي للوصول الى مطار الناصرية الدولي ، قاصداً مدينة (أور) في ذي قار لإحياء الصلاة الابراهيمية الموحدة للاديان وذلك في صباح يوم السبت الموافق ٦ آذار ٢٠٢١ م .

وكان في استقبال البابا محافظ ذي قار المكلف عبدالغني الأسدي إضافةً الى ممثلين عن مسيحيي العراق وممثلين عن الشيعة والسنة والايزيديين والصائبة والكاكائيين والزادشتيين وشخصيات اخرى دينية وسياسية من ممثلي الأديان والطوائف في العراق .

وحث البابا في كلمته على السير من الصراع الى الوحدة ، طالباً السلام لكل الشرق الأوسط حيث قال : " نستذكر قصة النبي ابراهيم – عليه السلام – ومبعثه النبوي من أور ، والسماء تمنحنا الوحدة وهذا يعزز اخوتنا ... يجب ان لا ننسى اخوتنا فنحن احفاد النبي ابراهيم ، ولا يجب ان

نعمل كل منا بمعزل عن الآخر فنحن من يجب ان يعمر الأرض ، واخوتنا تدفعنا للعيش بانسانية ، ويجب ان لا ننسى نوايا الانسان الحسنة ... وتابع البابا قائلاً : من هذا المكان بدأ الايمان والتوحيد من أرض ابينا ابراهيم ، الايمان يجمعنا معاً ، أما الارهاب والعنف فلا يأتي من الدين ، والارهاب يستغل الدين ونحن من يجب ان نمنع من يستغله كغطاء " (٩)

وقال البابا ايضاً : " لن يكون هنالك سلام دون التعايش السلمي واناس يستعدون بعضهم بعضاً ، ولا سلام دون

تفكير بعضنا ببعض ، والسلام سوف يجمعنا معاً ويجنبنا الصراعات ، لنصلي من أجل جميع الشرق الأوسط ... نحن اليوم لنغير مفهوم الكره الى الحب ولنعطي صوتاً للضعفاء بمنحهم الرعاية ، بيتنا واحد ونحن من يجب ان نجعل للانسانية قيمةً أكبر " (١٠) .

وبعد هذا اللقاء غادر البابا فرنسيس مدينة أور التأريخية عائداً الى العاصمة بغداد ، وقد اقام القداس في كاتدرائية ماري يوسف للكلدان وبحضور كل من رئيس الجمهورية برهم صالح ، ورئيس مجلس النواب محمد الحلبوسي وبحضور عدداً من المسؤولين والمصلين ، حيث أحيى الحبر الأعظم البابا فرنسيس قداساً بالطقس الشرقي الكلداني وتتخلله صلوات وتراتيل بالغتين العربة والآرامية وذلك في مساء يوم السبت الموافق ٦ آذار ٢٠٢١م (١١) .

اليوم الثالث :

توجه البابا فرنسيس في اليوم الثالث من زيارته للعراق يوم الاحد الموافق ٧ آذار ٢٠٢١م إلى مطاربغداد للانتقال منه إلى مدينة اربيل عاصمة اقليم كردستان شمال العراق ، وعند وصوله إلى مطار اربيل الدولي استقبله كل من رئيس الاقليم نيجرفان بارازاني ورئيس حكومة الاقليم مسعود بارزاني إضافةً إلى الشخصيات الدينية والمدنية ، وجرى استقبال البابا استقبالاً رسمياً في مطار اربيل ، بعدها توجهوا الى الصالة الرئاسية لكبار الشخصيات في المطار ، وعقدوا لقاء مشتركاً أكدوا على الأخوة الانسانية والسلام الدائم والحرية الدينية .

وخلال زيارة البابا فرنسيس لأقليم كردستان التقى بزعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني السيد مسعود بارزاني ، وعند زيارته لمنطقة (عنكاوة) وهي أكبر منطقة لتجمع المسيحيين في اربيل حيث انها

استقطبت المسيحيين ممن هاجرا من بقية مناطق العراق ، كمناطق سهل نينوى بسبب الهجمات الارهابية ضدهم من تنظيم القاعدة وداعش .

وقال البابا فرنسيس اثناء زيارته للاقليم : " ان هذا الاقليم أصبح بيتاً وملاذاً آمناً للمسيحيين " (١٢) .

وبعد ذلك غادر البابا فرنسيس كردستان متوجهاً الى الموصل عبر طائرة الهيلكوبتر ، حيث زار كنيسة الطاهرة الكبرى في مدينة قرقوش وهي أكبر كنيسة في العراق والتي دمرها تنظيم داعش الارهابي ، كما انه انتقل الى ساحة حوش البيعة في الموصل حيث ترأس صلاة على أرواح ضحايا الحرب من أمام كنيسة أثرية مدمرة ... مؤكداً في كلمته : " ان الرجاء أقوى من الموت ، والسلام أقوى من الحرب " (١٣) .

وتأتي أهمية زيارة البابا للموصل باعتبارها مركز الطائفة المسيحية في العراق وقد تعرضت كنائسها وأديرتها الضاربة في القدم لدمار كبير على يد تنظيم داعش الأرهابي .. لهذا كانت زيارة البابا للموصل هي زيارة لأعادة الأمل للمسيحيين ودعمهم في تنظيف وترميم كنائسهم المدمرة والمحروقة ... لهذا كانت كلماته في خطاباته شكر ودعم للرجال والنساء الذين رغم الآلام والأذى الا انهم ما زالوا يواصلون ويجاهدون لأجل البقاء وإعادة بناء المجتمع العراقي القائم على التعايش السلمي بين مكوناته .

ثم بعد ذلك غادر البابا فرنسيس مدينة الموصل عائداً إلى أربيل ليقيم القداس الالهي في ملعب فرانسوا حريري ،وعند وصوله مكان الملعب من خلال سيارة مكشوفة قدم التحية لجميع الحضور ملوحاً بذلك بيده ، وقد شارك في مراسيم القداس نحو عشرة آلالاف مواطن تجمعوا بساحة ملعب فرانسوا حريري ، حيث تم نصب منصة خاصةً

لإداء القداس وقال البابا : " اليوم أستطيع ان أرى وألمس ان الكنيسة في العراق حية وأن المسيح يحيا ويعمل في هذا الشعب المقدس والمؤمن ... حتى في خضم الفقر المدقع والصعوبات ، قدم العديد منكم بسخاء مساعدةً ملموسةً وتضامناً مع الفقراء والمعانين " (١٤).

اليوم الرابع :

اختتم البابا فرنسيس في يوم الاثنين الموافق ٨ آذار ٢٠٢١م زيارته التأريخية الى العراق وكان في انتظاره لتوديعه من مطار بغداد رئيس الجمهورية برهم صالح وعقيلته وعدد من الشخصيات قبل صعود البابا فرنسيس على متن الطائرة أكد على شعار رحلته : (أنتم جميعاً أخوة) (١٥) .

بناءً على ما سبق ذكره يتبين ان هدف زيارة البابا فرنسيس هو التضامن مع المسيحيين والايزيديين الذين تعرضوا للا ضطهاد والتشرد على أيدي أفراد تنظيم داعش الارهابي ، كما انها هدفت الى المصالحة مع أصحاب الاديان والطوائف الاخرى لا سيما من خلال زيارته للمرجع الديني السيد علي السستاني في النجف الاشرف ، ولقائه في مدينه اور الأثرية في محافظة ذي قار سياسين وقادة وشيوخ مختلف المذاهب والطوائف في العراق ولقائه مع سائر زعماء ووجهاء العراق خلال تنقله بين المحافظات العراقية ، والتي أكد مراراً في كلماته خلال لقاءآته رسالة الزيارة وهدفها اننا كلنا اخوة وعلينا ان نستثمر القواسم المشتركة بين الاديان المتمثله في نبذ العنف ومحاربة الارهاب واشاعة ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين كافة اطياف المجتمع العراقي ليتحقق الامن والاستقرار والسلام الذي يساعدنا على البناء والتطور والازدهار .

ويبقى السؤال ... هل يمكن تحقيق ذلك في العراق لا سيما وأنه يعاني من الانقسامات والاثنية والطائفية والفساد الاداري والاقتصادي وغياب الهوية الوطنية ؟

المطلب الثاني

زيارة البابا فرنسيس رؤية شرعية

نحاول في هذا المطلب ان نبين الرؤية الشرعية لزيارة البابا فرنسيس الى العراق وما تحمله من شعار وأهداف من خلال نصوص القرآن والسنة النبوية وكما يأتي :

أولا : قال تعالى : " عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين"(١٦)

وجه الاستدلال : الاية تدل على ان الله تعالى يوجه عباده المؤمنين بالاحسان الى غير المسلمين الذين لم يقاتلوهم ، والعدل في التعامل معهم ، عسى ان تكون المودة معهم ، وما اعلن عن أهداف زيارة البابا فرنسيس للعراق لايتناقض مع مضمون هذه الاية .

فالآية وان كان سبب نزولها – كما ذكر المفسرون (١٧) – ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، أن أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) قالت : " قدمت علي أمي وهي مشركة ، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فستفتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة ، أ فأصل امي ؟ قال : نعم صلي امك " (١٨)

الا انه في عمومها ان الله لا ينهى عن الاحسان الى الكفار ، الذين لم يقاتلون المسلمين في الدين كالنساء والضعفة منهم ،(ان تبروهم) اي: تحسنوا اليهم ، (وتقسطوا إليهم) أي تعدلوا في التعامل معهم (١٩) .

وهذا هو نداء الاسلام في الاسرة الدولية وهو واضح المعالم لقيامه على مبدأ التفاهم والتعاون ، والتزام شرعة الحق والعدل ، وهذا معلم مهم في تقرير وسطية الاسلام واعتداله وقبوله للاخر لاسيما في ظروفنا المعاصرة .

ثانياً : قال تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (٢٠) .

وجه الاستدلال : الآية تتضمن امر المؤمنين بالقتال في سبيل الله لمن يريد قتالهم من الاعداء دون تردد لإعلاء كلمة الله – جل علاه – واعزاز دينه ونصرةً للحق ، على ان لايتجاوزوا في قتالهم من لا يريد قتالهم كالنساء والصبية وكبار السن والرهبان وغيرهم لان ذلك اعتداء والله تعالى لا يحب المعتدين .

لان الاعتداء على الاخرين بغيرذنب أمر غير مشروع ، وان اقرار القتال (الحرب) انما هو للضرورة لدفع العدوان واقامة العدل ونصرة المظلومين ، والحث على القتال من غير سبب هو عدوان وافساد وتخريب وتدمير وقد نهى الله تعالى عن ذلك ، وهذا ما تدعوا اليه زيارة البابا فرنسيس من السلام والتعايش باسم (الاخوة الانسانية) التي تجمع البشر جميعاً وتوحدهم وتسوي بينهم .

ثالثاً : قال تعالى : " واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " .(٢١)

قال القرطبي في تفسيره للاية : " (تولى) .. بمعنى ظل وغضب وانفه في نفسه ، (سعى) اي سعى بحيلته وارادته الدوائر على الاسلام واهله " . (٢٢)

وقال الطبرسي : " التولي هو الانحراف والزوال عن الشيئ الى خلاف جهته ، وقوله : (سعى) بمعنى عمد ، و(الافساد) هو عمل الضرر لغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة ، و (الاهلاك) العمل الذي ينفي الانتفاع ، و (الحرث) الزرع ، و (النسل) العقب من الولد " . (٢٣)

وقال الطوسي : " (والله لا يحب الفساد) : المحبة من الارادة ، وما لا يجب ان يكون لا يرد ان يكون ، لان كل ما احب الله ان يكون ، فقد اراد ان يكون " (٢٤)

وجه الاستدلال : الآية توكد ان الاعتداء على الاخرين بسب اختلاف مذاهبهم أو ديانتهم دون ان يصدر من المعتدى عليهم اي اذى هو نوع من الفساد في الارض ، وقد نهى- جل علاه - عن ذلك ، وهذا ما يؤكده البابا فرنسيس في خطاباته خلال زيارته للعراق من عدم إثارة مشاعر الكراهية والتعصب والعنف بين أفراد الانسانية الذي يؤدي الى تقاتل وإراقة الدماء والفساد في الأرض وهو ما تؤكده جميع الديانات السماوية .

رابعاً : قال تعالى : " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " . (٢٥)

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع : " أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، آدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على اعجمي فضل إلا بالتقوى " . (٢٦)

وجه الاستدلال : فالاية الكريمة والقول النبوي الشريف يؤكدان وحدة الاصل الانساني ، ووحدة الانسانية ، والاخاء الانساني ، والاسرة الانسانية المتولدة من أب وأم واحد ، فلا عنصرية ولا طبقية ، ولا فوقية او نبل او شرف لجنس على آخر ، وهذا ما أكده البابا فرنسيس في لقاءاته وخطاباته

اثناء زيارته للعراق على الموساواة في الواجبات والحقوق التي ينعم في ظلالها الجميع بالعدل وان التميز والاقصاء يمهد لبذور الفتن والشقاق ويصادر استحقاقات وحقوق بعض المواطنيين .

خامساً : قال تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبدوا الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (٢٧)

وقال تعالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون " (٢٨)

وجه الاستدلال : الاسلام اقام اصول التسامح على قاعدة صلبة وقوية وهي الحوار البناء الذي يعتمد على الاحترام المتبادل بين اطراف الحوار ، واعتراف كل جانب بالآخر ، وتحكيم العقل المجرد والفكر المنفتح ، والحرص على الحقيقة والترفع ، عن نزاع أو صراع الحضارات وعن تعصب الاديان ، وتشنج المتدينين (٢٩) ، وهذا ما أكدت عليه زيارة البابا فرنسيس .

سادساً : قال تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير " (٣٠)

وجه الاستدلال : يخبر الله تعالى الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما (آدم) و (حواء)

وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وان التفاضل في طاعة الله (٣١) ، فالقرآن بهذه الآية يتجاوز ظاهرة التعدد الى بناء واقع ايجابي، وهي النقلة النوعية الى افق التعارف والتعاون والتآلف ، لتحقيق المصالح والمكاسب المعيشية، وتبادل المنافع ، وإثراء الحياة والنهوض بها (٣٢) ، وهذا ما دعى اليه البابا فرنسيس وهوالتمسك بالاخوة الانسانية وقيم التعارف المتبادل والتعاون والعيش المشترك .

وهذا ما أكده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في إقرار قاعدة التعددية التي نصت عليه صحيفة (دستور) المدينة المنورة في بدء تكوين الدولة الاسلامية ، والاقرار بتعايش المسلمين مع طوائف اليهود المقيمين في المدينة ، فلهم حقوق متساوية مع المسلمين وعليهم واجبات مشترك كالمسلمين (٣٣) .

سابعاً : عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على تأكيد التسامح في تعامله مع الآخر في المجتمع الاسلامي بكل ما استطاع من وسائل لأنها من وسائل الدعوة والبناء للأمة ، يمكن ان نأخذ من عمله مظهرين اساسيين في ترسيخ مفهوم قبول الآخر والتسامح لتوحيد أفراد المجتمع وإقامة الدولة الاسلامية في المدينة وهما :

١- مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وإزاحة الخلافات والنعرات بين الأوس والخزرج ، حيث اشاعه مفهوم التسامح وطرح العصبية الجاهلية التي كانت تفرق بينهم على أساس قبلي .

٢- إدخاله (عليه الصلاة والسلام) في عقد الدولة الاسلامية غير المسلمين من يهود المدينة ، وجعلهم ضمن الامة الواحدة مع احترام رغبتهم فيما يدينون وتركهم عليه (٣٤) .

لقد حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القبائل الى لبنات في بناء الامة الجديدة وجعل أبناء الشرائع الدينية المتعددة لبنات أصلية في بناء الامة الواحدة وفي رعية هذه الدولة الاسلامية الواحدة (٣٥) .

أما من صور التسامح وقبول الآخر في معاملة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حين فتح مكة قال : " يا معشر قريش ، ماذا ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن اخ كريم ، فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء ".(٣٦)

ثم ان الناس اجتمعوا بمكة لمبايعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على السمع والطاعة لله ولرسوله ، فلما فرغ (صلى الله عليه وآله وسلم) من بيعة الرجال بايع النساء وكان من بينهم هند بنت عتبة منقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة (رضي الله عنه) فقال (عليه الصلاة والسلام) :" انك لهند بنت عتبة ، فقالت انا هند بنت عتبة ، فأعف عما سلف عفا الله عنك ، فعفا عنها وقبل توبتها وبيعتها " . (٣٧)

والسبب في هذا النمط من التعامل مع الآخر لأنهم شركاء في الأرض واللغة والقومية وإن اختلفوا معه في بادئ الامر في العقيدة والرؤية ، وانطلق تعامله معهم من مبدأ أصيل كان يدعوا به كل يوم : (وانا شهيد إن العبادة كلهم إخوة) (٣٨) ،لأنهم يشتركون جميعاً في ان لهم أباً واحد ، فهم يسميهم القرآن بنو آدم . وهم يشتركون جميعاً كذلك في ان لهم رباً واحداً، وانهم مهما اختلفوا فإن

ربوبيته الله تجمع بينهم (٣٩) ، قال تعالى : " الله ربنا وربكم " (٤٠) ، وقال تعالى : " أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدةً وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً " .(٤١)
وبناءً على ما تم ذكره في المطلب الأول من شعارورسالة وأهداف زيارة البابا فرنسيس للعراق ، والنصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية في المطلب الثاني فان شعار ورسالة وأهداف الزيارة هي قيم ومعاني أكدت عليها الشريعة الاسلامية للمحافظة على الأصل الانساني والاستقرار والامن والبناء والازدهار لينعم الانسان ويستثمر بما سخر له الله تعالى في هذا الوجود .

الخاتمة:

- زيارة البابا فرنسيس الى العراق تأتي كجزء من مبادرة الحفاظ على المجتمعات المسيحية القديمة في العراق ، ودعم عودة المسيحيين الى ديارهم وكنائسهم الذين طردهم تنظيم داعش الارهابي منها ، وكذلك الحال بالنسبة للاقليات الاخرى كالايزيديين .
- أكد البابا فرنسيس لجميع أفراد المجتمع العراقي انهم تجمعهم الأخوة الانسانية ، لهذا لابد من إعادة بناء الانسان والبلد والنظر الى مستقبل أفضل وأكثر قيماً انسانية وأخوة ومحبة وعدلاً وتسامحاً وتعاوناً لأجل سلامة ومستقبل الأجيال القادمة .
- بمناسبة اللقاء التأريخي بين قطبي السلام والتسامح ، المرجع الديني علي السستاني وبابا الفاتيكان فرنسيس ، ولقاء رجال الدين و الممثلين عن الأديان في مدينة دينة أور ، أعلن رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي تسمية يوم السادس من مارس من كل عام يوماً وطنياً للتسامح والتعايش في العراق .
- زيارة البابا فرنسيس للعراق تؤكد وتدعم الجهود الرامية لتعزيز الحوار بين الأديان ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش السلمي المشترك ، سواء على الساحة العراقية أو في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام .
- الشعار الرسمي لزيارة البابا فرنسيس للعراق هو (انتم جميعاً أخوة) وهو تأكيد على ان التنوع الديني والقومي لأبناء الشعب العراقي لا يخرجهم من حقيقة أخوتهم الانسانية ، وان هذا الشعار هو امتداد وتأكيد لوثيقة الأخوة الانسانية التي وقعها البابا فرنسيس مع شيخ

الأزهر أحمد الطيب في المؤتمر العالمي للأخوة الانسانية والذي اقيم في أبو ظبي في ٣-٥ فبراير ٢٠١٩ م .

- نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد على وحدة الأصل الانساني ، والإخاء الانساني ، والاسرة الانسانية المتولدة من أب واحد وأم واحدة ، وقبول الآخر والتسامح والتعايش السلمي المشترك ونبذ التطرف والعصبية و تحريم الاعتداء على الآخرين والافساد في الأرض ، وهذا ما أكده البابا فرنسيس في لقاءاته وخطاباته أثناء زيارته للعراق .

التوصيات:

هنالك مقترحات لها الأثر الايجابي في دعم وتأكيد رسالة وأهداف زيارة البابا فرنسيس للعراق القائمة على نشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي ونبذ التطرف والتعصب الديني والفكري والقومي وهي :

التفعيل والالتزام بالدستور العراقي الجديد (٢٠٠٥م) الذي أكد على الوحدة الوطنية واحترام حقوق وحريات مكونات المجتمع العراقي .

١- الاستفادة من زيارة البابا فرنسيس للعراق ولقائه بالمرجع الديني السيد علي السستاني والنخب العراقية الوطنية السياسية والدينية والاجتماعية في الدعم الاقليمي والدولي في مكافحة الارهاب ونبذ التطرف وحل مشاكل الدولة العراقية .

٢- ان تقوم المؤسسات الدينية والفكرية والمراكز البحثية في العراق ذات العلاقة باطلاق مبادرات تعزيز الحوار بين مختلف الثقافات والعقائد ، وتفعيل العقل والحكمة في التعامل مع الآخر، لإرساء مبادئ الاخوة الانسانية .

٣- توجيه كافة وسائل الاعلام في نشر ثقافة السلام والمحبة والاخوة والتعاون المشترك ، والحد من أفكار التطرف والتعصب المذهبي أو الديني أو الفكري أو القومي ونحوه .

٤- الاسترشاد بمبادئ الدين في الخطب والمحاضرات والتجمعات الدينية على احترام الاختلاف والتنوع والحرية والمواطنة ، كون الدين المرتكز الاساسي لارساء ثقافة التآخي في مختلف التجمعات الانسانية .

٥- غرز قيم التسامح والاخوة الانسانية وقبول الرأي الآخر ، في مناهج التربية والتعليم ليكون النشئ الجديد أكثر مناعة من داء التفرقة والتطرف والتعصب .

٦- إقامة نشاطات علمية وثقافية مشتركة بين كبار رجال وعلماء الاديان في المناسبات الانسانية العالمية ، واشتراك ابناء الاديان المختلفة في هذه النشاطات ليعزز التقارب والالفة بين ابناء المجتمع العراقي ودعم روح الاخوة الانسانية بينهم .

الهوامش:

١- قناة العراقية الاخبارية ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م ؛ فضائية التغيير، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .

٢- المصدر السابق .

٣- فضائية الرشيد ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١ م ؛ فضائية عربية نيوز سكاي ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .

٤- المصدر السابق .

٥- الفضائية العراقية ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م ؛ فضائية الحرة عراق ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .

٦- فضائية utv ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م ؛ فضائية الحدث ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .

٧- المصدر السابق .

٨- فضائية سامراء بلس ، الأحد ٦ آذار ٢٠٢٢م ؛ فضائية قناة الفلوجة ٦ آذار ٢٠٢٢م .

٩- قناة الشرقية نيوز ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م ؛ قناة هنا بغداد ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م ؛ قناة زاكروس ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .

١٠- المصدر السابق .

١١-المصدر السابق .

١٢-قناة العراقية العامة ، الأحد ٧ آذار ٢٠٢١م ؛ قناة التغيير الفضائية ، الأحد ٧ آذار ؛ العربية نيوز سكاي الأحد ٧ آذار ٢٠٢١م .

١٣- المصدر السابق .

١٤- المصدر السابق .

١٥- قناة العراقية الاخبارية ، الأثنين ٨ آذار ٢٠٢١م ؛ قناة التغيير ، الأثنين ٨ آذار ٢٠٢١م

١٦- سورة الممتحنة ، آية ٧ - ٨ .

١٧-ابن العربي : أبي بكر محمد بن عبدالله ، احكام القرآن ، راجع اصوله وخرج احاديثه وعلق عليه محمد عبدالقادر عطا ، (ط . د) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٥ - ١٤٢٦/٢٠٠٥،ج ٤، ص٢٢٨؛ الصابوني : محمدعلي ، مختصر تفسير ابن كثير ، ط ٧ ، بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م ، ج ٣ ، ص٤٨٤ .

١٨-البخاري : الامام ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، صحيح البخاري (ط . د) ، بيروت : دار صادر (ت . د) ، كتاب : الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب : الهدية للمشركين ، الحديث : (٢٦٢٠) ؛ مسلم : الامام ابو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ط١ ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م ، كتاب الزكاة ، باب : فضل النفقة والصدقة على الاقربيين والزوج والاولاد والوالدين ، ولو كانوا مشركين ، الحديث : (١٠٠٣).

١٩- الصابوني ، ج٣ ، ص٤٨٤.

٢٠- سورة البقرة ، آية ١٩٠.

٢١- سورة البقرة ، آية ٢٠٥.

٢٢- القرطبي :ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار ، خرج حديثه الشيخ عرفات العشا ، ط ١،بيروت : دار الفكر ،١٤١٩ هـ /١٩٩٩م ،ج٢ ، ص١٥.

٢٣- الطبرسي : الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، (ط ، د) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص٥٥.

٢٤- الطوسي : شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، ايران : مكتب الاعلام الاسلامي ،١٢٠٩هـ . ق ، ج٢ ، ص١٨١ .

٢٥- سورة النساء ، آية ١.

٢٦- مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب : الحج ، باب : حج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الحديث : (٢٩٢٢) ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، (ط ، د) ، بيروت : دار القلم ، (ت ، د) ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

٢٧- سورة آل عمران ، آية ٦٤ .

٢٨- سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .

٢٩- الزحيلي : الاستاذ الدكتور وهبة ، قضايا الفقه والفكر المعاصر ، ط٣، دمشق : دار الفكر ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٦م ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ .

٣٠- سورة النساء ، آية ١ .

٣١- الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٢٥٤

٣٢- الزحيلي ، قضايا الفقه والفكر المعاصر ، ج ٢ ، ص٥٦٩ .

٣٣-المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

٣٤- البوطي : الدكتور محمد سعيد رمضان ، فقه السيرة ، ط ٧ ، بغداد : مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٩٠م ، ص ١٥٥ – ١٥٩ .

٣٥- البنعيادي : الدكتور محمد ، نحو فقه للاستغراب مقاربة نظرية وتاريخية ، كتاب الامة ، مركز البحوث والدراسات ، قطر . ع ١٣٢، رجب ١٤٣٠هـ ، ص٥٣ .

٣٦- المباركفوري : الشيخ صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط١ ، المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م ، ص٤٤ .

٣٧- البوطي ، فقه السيرة ص٢٨٠ .

٣٨- أبو داود : الحافظ سليمان بن الاشعث السجستاني ، سنن ابي داود ، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول الرجل اذا اسلم ، الحديث : (١٥٠٨) .

٣٩- البنعيادي ، نحو فقه للاستغراب ، ص٥١ .

٤٠- سورة الشورى ، آية ٤٧ .

٤١- سورة النساء ، آية ١ .

المراجع والمصادر :

اولاً: الكتب :

١- ابن العربي : أبي بكر محمد بن عبدالله ، احكام القرآن ، راجع اصوله وخرج احاديثه وعلق عليه محمد عبدالقادر عطا ، (ط . د) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٥ – ١٤٢٦/٢٠٠٥

٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، (ط ، د) ، بيروت : دار القلم ، (ت ، د) .

٣- أبو داود : الحافظ سليمان بن الاشعث السجستاني ، سنن ابي داود ، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م .

٤- البخاري : الامام ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، صحيح البخاري (ط . د) ، بيروت : دار صادر (ت . د) .

٥- البنعيادي : الدكتور محمد ، نحو فقه للاستغراب مقاربة نظرية وتاريخية ، كتاب الامة ، مركز البحوث والدراسات ، قطر . ع ١٣٢، رجب ١٤٣٠هـ .

٦- البوطي : الدكتور محمد سعيد رمضان ، فقه السيرة ، ط ٧ ، بغداد : مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٩٠م .

٧- الزحيلي : الاستاذ الدكتور وهبة ، قضايا الفقه والفكر المعاصر ، ط٣، دمشق : دار الفكر ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٦م .

٨- الصابوني : محمدعلي ، مختصر تفسير ابن كثير ، ط ٧ ، بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .

٩- الطبرسي : الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، (ط ، د) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م .

١٠- الطوسي : شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، ايران : مكتب الاعلام الاسلامي ،١٢٠٩هـ . ق .

١١- القرطبي :ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار ، خرج حديثه الشيخ عرفات العشا ، ط ١،بيروت : دار الفكر ،١٤١٩ هـ /١٩٩٩م .

١٢- المباركفوري : الشيخ صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط١ ، المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م .

١٣- مسلم : الامام ابو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ط١ ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م .

ثانياَ: القنوات الفضائية :

١- فضائية التغيير، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .
٢- فضائية الحدث ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .
٣- فضائية الحرة عراق ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .
٤- فضائية الرشيد ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١ م .
٥- فضائية زاكروس ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .
٦- فضائية سامراء بلس ، الأحد ٦ آذار ٢٠٢٢م .
٧- فضائية الشرقية نيوز ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .
٨- فضائية العراقية الاخبارية ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .
٩- فضائية العراقية العامة ، الأحد ٧ آذار ٢٠٢١م .
١٠- فضائية عربية نيوز سكاي ، الجمعة ٥ آذار ٢٠٢١م .
١١- فضائية الفلوجة ٦ آذار ٢٠٢٢م .
١٢- فضائية هنا بغداد ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .
١٣- فضائية utv ، السبت ٦ آذار ٢٠٢١م .